Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518

Volume 5(1), January 2018

Article History

Received/Geliş	Accepted/Kabul	Available Online/Yayınlanma
14/11/2017	12/12/2017	10/01/2018

سيرة الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي

أ. م. د. ظفر عبد الرزاق ذنون

مقدمة

يعد القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي وهو دستور هذه الأمة والسنة المطهرة هي المصدر الثاني بعده لما فيها في اثبات لبعض أحكام القرآن وتفصيل لمجمله وتفسير لمبهمه وتوضيح لمشكله وتخصيص لعمومه ولأنها منشئة لأحكام جديدة لم ترد فيه، إضافة إلى أنها التطبيق العملي للإسلام على يد رسول الله (ρ) فتارة تكون هذه السنة عملاً صادراً عنه وحيناً تكون تقريراً لبعض أصحابه على أفعالهم.

وكهدف نسعى إلى الوصول إليه وبعد التوكل على الله عزمت على الكتابة حول سيرة أحد أولئك الصحابة وهو عبد الله بن جرير البجلي سعياً مني للمشاركة بمؤتمر (ريس للعلوم الاجتماعية والتربوية) بإحدى محاوره وهو التاريخ الإسلامي.

نظراً لما يتمتع به هذا الصحابي من فضل ومكانة بارزة عند رسول الله (ρ) وبين أصحابه ولما قام به من جهاد في إعلاء كلمة الله تعالى ولما أسندت إليه من أعمال جليلة ولأهمية العمل بحديث الرسول (ρ) فبدأت تناول المبحث الأول ترجمة للصحابي الجليل من حيث اسمه وكنيته وأولاده ونبذة عنه قبيلة –بجيلة– وإسلامه ومكانته عند الرسول (ρ) وفضائله ومناقبه وأخيراً وفاته.

في حين أن المبحث الثاني تناول اسهاماته في حروب الردة وجبهة العراق، فضلاً عن أعماله في خلافة عمر بن الخطاب (τ) حيث لم شمل القبيلة، واسهاماته في معركة البويب والامتيازات التي حصلت عليها قبيلة بجيلة. كذلك دوره في معركة القادسية وانتقاله إلى الجهة الجنوبية الشرقية ومشاركته في معركة فتح الفتوح وحرصه على وحدة الأمة وموقفه في الفتنة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أَبي سفيان.

وأخيراً تناول البحث خاتمة تحتوي على نتائج ملخصة عن قيمة البحث ومعلوماته وأسأل الله أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعلنا من الباحثين العاملين لخدمة كتاب الله وسنة رسوله (ρ).

المبحث الأول

اسمه:

جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبه بن جثم بن عويف بن خزيمة بن حرب بن علي بن سعد بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[*1] البجلي سيد قبيلة بجيلة[2] الاحمس الكوفي اليماني[3]، وقيل أبو عبد الله البجلي[4] القَسْريُّ وقَسرٌ مِنْ قحطانَ من أعيان الصحابة[5].

وقد ورد في الاستيعاب، قال ابن إسحق: جرير بن عبد الله البجلي سيد قبيلتهم يعني بجيلة، قال وبجيلة، هو أنمار بن نزار بن معد بن عدنان[6].

كنيته:

يكنى جرير أبا عمرو –وقيل أبا عبد الله، كنى جرير أبا عمرو باسم ولده الأكبر الذي كان يسمى عَمْراً–، وهو والد أبي زرعه حفيد جرير الذي يَروى عنه أحاديث عديدة، وعلى ما يبدو أن عمراً لم يشتهر ذكره ولم يرد اسمه مع أبناء جرير الذين ذكرهم أصحاب كتب التراجم لأنه لم يكن من رواة الحديث كالأبناء الآخرين مما جعل اسمه لم يذكر معهم ولم يشتهر مثلهم[7].

وقال في حقهم صاحب الأغاني: (هم أهل بيت وشرف بن بجيلة)[8].

(*1) جمهرة إنسان العرب، ابن حزم: 386-387؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 187/1؛ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، 232/1؛ تلقيح مفهوم أهل الأثر لابن الجوزي: 158.

(2) البجلي، نسبة إلى قبيلة بجيلة، المشتبه في الرجال، للذهبي: 51/1، والأحمسْ بفتح الهمزة وسكون الحاء نسبة إلى احمسْ بطن من قبيلة بجيلة، الرياض المستطابة، أبي بكر اليمني: 46.

(3) الاستيعاب، ابن عبد الله: 232/1.

(4) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: 187/1.

(5)أسد الغابة، ابن الأثير : 233/1.

(6) ابن عبد البر: 333/1.

(7) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: 387.

(8) أبو الفرج الأصفهاني: 1088/19؛ الاستيعاب، ابن عبد البر: 232/1.

أولاده:

ذكر في كتب التراجم خمسة أبناء هم: عبد الله وعُبيد الله والمنذر وإبراهيم وبشير[9]. وله ابن سادس هو عمرو بن جرير. ومن أولاده عبد الحميد وزياداً وخالداً[10].

قبيلته:

قبيلته لها عراقة وأصالة في قيمها وأخلاقها التي كانت ذات حسب ونسب وقد تغنى بمناقبها العرب.

فهو من قبيلة بجيلة[11] بنت صعب بن سعد العشيرة، وقد ذكر بن عبد البر أن أكثر أهل النسب على أن خثعم وبجيلة هما ابنا أنمار بن نزار بن معد بن عدنان وأنهما لحقا باليمن وانتسبا إلى أنمار بن أراش[12] بن عمرو بن الغوث وروي هذا عن ابن عباس وجُبير بن مُطعم، واستدل بعض من يذهب إلى هذا القول بما خطب به جرير بن عبد الله البجلي الأقرع بين حابس[*] وعيينه بن حِصن[**]، وهما من مُضر بن نزار حيث قال:

ابني نزار نُضر أخاكما إن أبي وجدته أباكما

لا تخذلا اليوم أخاً والاكما[13]

وذكرت طائفة من أهل النسب أن خثعم وبجيلة هما ابنا أنمار بن اراشي بن عمرو بن الغَوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ واحتج من قال بهذا الرأي بما روي عن النبي (ρ) أنه قال يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن، عليه مَسْحَه فلك (فطلع جرير بن عبد الله البجلي) (τ)[14]، وذكر محمود شيت خطاب

سيرة الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي، ظفر عبد الرزاق ذنون

(9) جمهرة إنسان العرب، ابن خزم: 387؛ نهاية الارب، القلشقندي: 171.

(10) العبر، ابن خلدون: 345/3؛ المعجم الصغير، الطبراني: 148/2.

(11) بَجِيلة: بفتح الباء وكسر الجيم، السمعاني، الأنساب: 91/2،.

(12) صبح الأعشى، القلشقندي: 329/1.

(*) الأقرع بن حابس: صحابي وفد على النبي (ρ) وشهد فتح مكة وحنين والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم، حسن إسلامه فيما بعد، أسد الغابة، ابن الأثير: 128/1؛ الإصابة، ابن حجر العسقلاني: 58/1.

(**) عيينه بن حض الفرازي: أسلم بعد الفتح وشهد حنيناً والطائف وكان من المؤلفة قلوبهم وهو من الذين ارتدوا وتبع طليحة الأسدي وقاتل معه فأخذ أسيراً وأتى إلى أبو بكر (τ) فأسلم، أسد الغابة، ابن الاثير: 231/4.

(13) الانباه على قبائل الرواة، ابن عبد البر : 101.

(14) الانباه على قبائل الرواة، ابن عبد البر : 101.

(ولكن الظاهر أن أصل جرير من اليمن لمعرفته التفصيلية لتلك البلاد ولأهلها مما جعل النبي (ρ) يرسله مقاتلاً إلى اليمن وداعياً)[15].

وقد كانت بلاد بجيلة –مع أخوتهم خثعم– في سَروات اليمن والحجاز إلى تَباله[16].

ثم اقترفوا أيام الفتح الإسلامي على الآفاق كالعراق والشام ولم يبق بمواطنهم الأصلية إلا القليل.

ومن جبال بلاد بجيلة البَتْراء ومن أوديتهم عَرَادات –وهو واد ممتد فيه صنهم كان لخثعم وبجيلة–[17]. ومن مناقب قبيلة جرير أنه لم ينزل بهم نازل قط إلا عمدوا إلى ماله فحسبوه ودفعوه إلى رجل يرضون أمانته فإذا أظعن –أي سافر– أدوا إليه ماله ورحلوا عنه، وإن مات ودوه[18]، وإن قتل طلبوا بدمه وإن سلم الحقوه بمأمنه[19].

ولقد كان ذلك من تمام وفائهم بالضيف النازل مما جعل الأخطل التغلبي يمدحهم ويمدح جرير (τ) في قصيدة قال فيها:

صافى الرسولَ ومِنْ حي هُمُ ضُمِنوا — مال الغريب ومَن ذا يضمن الأبدا

كانوا إذا حل جار في بيوتهم — عادوا عليه واحْصوا ماله عددا

فقد أجاروا بإذن الله عُصبتنا — إذ لا يكاد يحب الوالدُ الولدا

قوم يظلون خُشعاً في مساجدهم — ولا يدينون إلا الواحدَ الصَمَدا[20]

وكان من مكانة بجيلة وكثيرة عددهم في حروب العراق ما جعلهم يحظون بنصيب كبير من أرض السواد التي استولى عليها المسلمون من الفرس (كانت بجيلة ربع الناس فقُسِّم لهم ربع السواد فاستغلوا ثلاث أو أربع سنين ثم قدمت على عمر بن الخطاب (τ)، وقال عمر لولا أني قاسم مسؤول لتركتكم على ما قُسِّم لكم ولكني أرى أن تردوا على الناس)[21].

([15]) قادة فتح العراق والجزيرة، محمود شيت خطاب: 356.

([16]) تباله: تقع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة، الأصنام، ابن الكلبي: 34-35؛ معجم البلدان، الحموي: 2/9-10.

([17]) المحبر، ابن حبيب البغدادي: 317؛ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحاله: 1/أ.

([18]) وَدَوه: أي دفعوا وأعطوا ديته، جمهرة اللغة، الازدي: 174/1؛ النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير: 169/5.

([19]) المجر الحبيب: 243.

([20]) شرح ديوان الأخطل التغلبي: 333.

([21]) المسند، الإمام الشافعي: 116.

وكان لها تلبية خاصة في الحج تشتمل على فخر رجالها بقبيلتهم وأنها ذات قيم في قولهم:

لبيك عن بجيلة الفخمة الرجيلة

ونعمت القبيلة جاءتك بالوسيلة

تؤمل الفضيلة[22]

إسلامه ومكانته عند الرسول (ρ):

أسلم جرير بن عبد الله البجلي قبل وفاة الرسول (ρ) بأربعين يوماً[23]، وقد ذكر ابن سعد[24] أن جريراً وفد على النبي (ρ) في رمضان سنة عشر للهجرة[25]، وأنه وافى مع رسول الله (ρ) حجة الوادع من عامه[26]، وفي رواية ابن حجر للشعبي عن جرير نفسه أنه قال: قال لنا رسول الله (ρ) أن أخاكم النجاشي قد مات، فهذا يدل على إن إسلام جرير كان في حدود سنة عشرة للهجرة، لأن النجاشي مات في ذلك الحين[27]. وفي رواية أخرى (اختلف في وقت إسلامه والصحيح أنه في سنة الوفود سنة تسع)[28] ومال إلى هذا الرأي ابن كثير في البداية والنهاية[29] ووصف جرير بن عبد الله البجيلي بأنه حسن الصورة، قال النبي (ρ) لما دخل عليه جرير فأكرمه (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه)[30].

قال الخليفة عمر بن الخطاب : (جرير يوسف هذه الأمة، وهو سيد قومه)[31]. كان جرير أشهر رجال قبيلة بجيلة في صدر الإسلام، صحب رسول الله (ρ)[32] وروي عنه انه قال (ما حجبني رسول الله (ρ) منذ أسلمت، ولا رآني إلا أضحك)[33].

([22]) رسالة الغفران، أبي العلاء المعري: 536.

([23]) ابن عبد البر، الاستيعاب: 233/1؛ ابن الأثير، أسد الغابة: 333/1.

([24]) ابن سعد، الطبقات: 77/1-78.

([25]) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي : 87/1-188.

([26]) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر: 232/1.

([27]) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر: 232/1.

([28]) تحفة الاحوذي شرح سنن الترمذي، المباركفوري: 325/10.

([29]) البداية والنهاية: 79/5.

([30])الاستيعاب، ابن عبد البر : 233/1؛ أسد الغابة، ابن الأثير: 333/1؛ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، العسقلاني: 137/6.

([31]) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: 88/1؛ الاستيعاب، ابن عبد البر: 233/1؛ إرشاد الساري، العسقلاني: 137/6.

([32]) الجامع الصغير، مسلم: 157/7؛ جمهرة أنساب العرب، ابن حزم: 387؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: 188/1.

([33]) الجامع الصحيح، مسلم: 157/7؛ الاستيعاب، ابن عبد البر: 233/1؛ أسد الغابة، ابن الأثير: 334/1.

لقد نهض جرير البجلي مع مائة وخمسين رجلاً من قومه فحطم صنم (ذي الخَلَصَه) وهو الصنم الذي كانت تعبده بجيلة، فبارك رسول الله (ρ) عملهم هذا وأثنى عليه[34] ودعا لجرير فقال: (اللهم اجعله هادياً مهدياً)[35].

ويروي ابن الأثير، أن جرير البجلي وفد على رسول الله (ρ) في رمضان من السنة العاشرة للهجرة وأعلن اسلامه، فبعثه النبي (ρ) ((إلى ذي الخَلَصَه فهدمها، وكان من حجر أبيض بتباله، وهو صنم بجيلة وخثعم، وازد السراة))[36]. ولما اعترضه حمير بن الصباح من بني حمير بن سبأ بن قحطان قتله وهذا ما يؤكد صدق إسلامه وعمق إيمانه ومما يؤكد ذلك ابن حزم عندما يورد اسم جرير بن عبد الله البجيلي يتبعه بعبارة (τ)[37]، فهو إذن صحابي جليل[38]. ولما أتى خبر تحطيم صنم (ذي الخَلَصَه) سجد لله شاكراً[39]. وكان الرسول (ρ) قد بعث جرير إلى ذي الكلاع، وذي رعين باليمن فأدى المهمة بجدارة واقتدار[40].

فضائله ومناقبه:

اتصف هذا الصحابي الجليل (τ) بفضائل وصفات حباه الله تعالى بها سواء كانت خلقية أو خلقية وميزات كريمة ميزته عن غيره وجعلت له مكانة بين أصحاب الرسول (ρ) فضلاً عن مكانته عند الرسول (ρ) فقد بشر به رسول الله (ρ) وبسط له ردائه فقد روى الحاكم في المستدرك (دخل جرير بن عبد الله (τ) على رسول الله (ρ) وعنده أصحابه، وضن كل رجل بمجلسه، فأخذ رسول الله (ρ) ردائه فألقاه إليه فتلقاه بنحره ووجهه وقبله ووضعه على عينه وقال: أكرمك الله كما أكرمتني، ثم وضعه على ظهر رسول الله (ρ) فقال (ρ): (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا أتاه كريم قوم فليكرمه)[41].

([34]) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم: 388.

([35]) الجامع الصحيح، مسلم: 157/7؛ أسد الغابة، ابن الأثير: 334/1.

([36]) الكامل، ابن الأثير: 207/2؛ الطبقات، ابن سعد: 77/1.

([37]) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم: 435.

([38]) الإصابة، ابن حجر،: 232/1.

([39])الجامع الصحيح، مسلم: 157/7-158؛ الكامل، ابن الأثير: 207/2.

([40]) تاريخ خليفة، ابن خياط: 63/1؛ الطبقات، ابن سعد: 20/1؛ الاستيعاب، ابن عبد البر: 233/1-234.

([41]) المستدرك: 291/4.

وقد كان جريراً رضى سيداً مطاعة في قومه مما جعل عمر بن الخطاب (τ) يؤمره على قبيلة بجيلة بعد موقعة الجسر، قال الطبري: (لما انتهت إلى عمر بن الخطاب (τ) سنة ثلاثة عشر هجرية مصيبة أهل الجسر وقدم عليه فَلُّهم –أي المنهزمون منهم– قدم عليه جرير البجلي من اليمن في ركب من بجيلة، فتكلمهم عمر فقال لهم: أنكم قد علمتم ما كان من المصيبة في اخوانكم بالعراق فسيروا إليهم وأنا أخرج إليكم من كان منكم في قبائل العرب فأجمعهم إليكم، قالوا: نفعل يا أمير المؤمنين وأمر عمر على بجيلة جرير بن عبد الله فسار بهم إلى الكوفة وضم إليه عمر قومه من بجيلة)[42].

وقال ابن دريد: ذكر بعض أهل العلم أن أربعة اتصل سُؤدَدُهم في الجاهلية والإسلام وعد منهم جرير بن عبد الله البجلي (τ)[43].

وقال ابن حزم الأندلسي عن جرير: هو الذي جمع بجيلة بعد أن كانوا متفرقين في أحياء العرب[44].

كان جرير من الموثوق بهم عند معاوية بن أبي سفيان (τ) وغيره فقد قبل تزكيته لاثنين من أبناء عم يزيد بن أسد البجلي –اللذين اتهما بسب معاوية والدعوة لآل علي بن أبي طالب–، وشهد جرير لهما بالبراءة مما شهد عليها فأطلقهما ومعاوية (τ)[45].

وقد كان ثابت الإيمان بالرغم من ارتداد معظم قبيلة بجيلة، وثباته هذا كان له الأثر في إسلام قبيلته ومن العوامل المهمة لانتصار المسلمين السريع على المرتدين من أهل اليمن[46].

ومن مناقبه أنه كان متكلماً حكيماً ويشهد على ذلك خطبته في الناس يوم توفي المغيرة بن شعبة (τ) والي الكوفة آنذاك، وأقواله الحكيمة مثل قوله: (الحَرس خيرٌ من الخلابه، والبُكم خير من البذاء)[47].

([42]) الاشتقاق، ابن دريد: 306.

([43]) الاشتقاق: 306.

([44]) جمهرة أنساب العرب: 387؛ العبر، ابن خلدون: 912/2.

([45]) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: 341/3.

([46]) قادة فتح العراق والجزيرة، محمود خطاب: 359.

([47]) الاستيعاب، ابن عبد البر: 239/1؛ الخلابة: لحيز السقط واللقط والخداع؛ تهذيب اللغة، الزهري: 419/7؛ والبذاء: الكلام الفاحش؛ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: 58/2.

كما كان متواضعاً محباً للصحابة جاء في صحيح البخاري عن أنس قال: (خرجت مع جرير في سفر فكان يخدمني فقلت له: لا تفعل، فقال: إني رأيت الأنصار تصنع برسول الله (ρ) أشياء أَلَيْت ألا أصحب أحداً منهم إلا خدمته، وكان جرير أكبر من أنس رضي الله عنهما)[48].

فضلاً عن لباقته في الحديث وحُسْن التصرف في الكلام سريع التخلص من السَقطات ففي رواية تذكر (بينما عمر (τ) لا يكلم إنساناً إذ اندفع جرير بن عبد الله يُطريه ويُطنْب فأقبل عليه فقال: ما تقول يا جرير؟ فعرف الغضب في وجهه وقال: ذكرت أبا بكر وفضله، فقال عمر: أقلب قَلاب[49]، وسكت)[50].

بالإضافة إلى ما سبق فقد كان جريراً شاعراً مجيداً متمسكاً بعقيدته فقد نظم قصيدة يدلل فيها على ذلك وولائه لأمير المؤمنين علي (τ) فقال:

مَضَيْنا يَقينا على ديننا	**ودينِ النبي مُجَلّى الظُلَمْ**
أمين الاله وبرهانَه	**وعدلُ البَرِيَة والمُعْتَصِمْ**
رسول المَليك مِن بَعده	**خليفتنا القائِم المُدعَمْ**
عَليّا عَنَيْت وصى النبي	**نجا لِدعَنه غُواةَ الأمُمْ**
له الفضل والسبق والمكرماتُ	**وبَيت النبوة لا يهتَضمُ**[51]

إن كل ما سبق وغيرها كثير من فضائل ومناقب تحلى بها جرير البجلي (τ) جعلت له مكانة مرموقة بين الناس وخاصة أصحاب رسول الله (ρ) وغيرهم مما جعل بعض الناس يُطرونه ويمدحونه ويَنظمون فيه الشعر الذين روى عنهم ورووا عنه الحديث.

روى عن رسول الله (ρ) مباشرةً وروى عن عمر بن الخطاب وعن معاوية بن أبي سفيان (τ) الله عنهم وغيرهم[52].

([48]) تهذيب الأسماء واللغات: النووي: 147/1؛ صحيح مسلم، مسلم: 1951/5؛ معجم الطبراني الكبير، الطبراني: 230/2.

([49]) قول عمر: اقلب قلاباً: هو مثل يضرب للفصيح الذي يقلب لسانه فيضعه حيث يشاء، جمهرة المثال، أبي هلال العسكري: 151/1.

([50]) الفائق في غريب الحديث: الزمخشري: 221/3؛ لسان العرب، ابن منظور: 179/2.

([51]) شعراء الدعوة الإسلامية: 80.

([52]) تلقيح فهوم أهل الأثر، ابن الجوزي: 287؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي: 80/3.

وروى عنه أنس بن مالك (τ) من الصحابة، وروى عنه من التابعين قيس بن أبي حازم، وهمام بن الحارث والشعبي وزياد بن علاقه وأبو اسحق السبيعي وعامر بن سعد البجلي، وعبد الرحمن بن هلال العبْسي وزيد بن وهب وبنوه عبيد الله وعبد الله والمنذر وأيوب وإبراهيم، وحفيده أبو زرعه بن عمرو بن جرير[53]. وأبو وائل –شقيق بن سلمة– وأبو ظبيان وحُصنِ بن جندب وغيرهم، وأخرج له الجماعة، وهم أصحاب الكتب الستة بالإضافة إلى الإمام أحمد في مسنده[54].

وفاته:

هناك روايتان تحددان زمان ومكان وفاة جرير بن عبد الله البجلي، الأولى يرويها أبو الحسن المدائني وخليفه بن خياط تذكران أن جريراً مات سنة 51 هـ/671 م[55] ويؤيد ذلك الخطيب البغدادي[56]، وغيره. غير أنهم لم يذكروا أين مات جرير، أفي مدينة الكوفة، أم في قرقيسيا؟. في حين أن الرواية الثانية (وهي مذكورة عن علي بن المديني وهشام الكلبي) وأوردها ابن عبد البر[57] وأيده (ابن حجر)[58] أن جريراً نزل مدينة الكوفة وسكنها وكان له بها دار. ثم تحول إلى قرقيسيا ومات بها سنة أربع وخمسين للهجرة. والرواية الأولى هي الأرجح.

([53]) تهذيب الأسماء واللغات، النووي: 147/1.

([54]) المنهل العذب المورود شرح مسنن أبي داؤود، السبكي: 119/2.

([55]) تاريخ خليفه، ابن خياط: 205/1.

([56]) تاريخ بغداد: 189/1.

([57]) الاستيعاب: 234/1.

([58]) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر: 232/1.

المبحث الثاني

إسهامات جرير بن عبد الله في حروب الردة

بعد وفاة الرسول (ρ) أرسل الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق (τ) جرير بن عبد الله البجلي إلى اليمن، وأمره أن يستنفر قومه من ثبت منهم على الإسلام ويقاتل بهم من ارتد عن الإسلام، وأن يأتي خثعم فيقاتل من خرج غضباً (لذي الخَلَصَة). فخرج جرير البجلي، ونفذ ما أمره به الخليفة الراشد الأول. واستطاع أن يقضي على من ارتد هناك، ويعيد نفوذ الدولة العربية الإسلامية الناشئة إلى تلك الربوع[59].

وأسهمت قبيلة بجيلة بقيادة جرير بن عبد الله البجلي في محاربة قيس بن عبد يغوث بن مكشوخ الذي ارتد ثانية في بلاد اليمن، وآزر الأسود العنسي بعد أن بلغه موت النبي (ρ) ونكل بالمسلمين هناك، فسارت خيول بجيلة، يحدوها ابن بجيلة جرير، لتشد آزر من بقي من المسلمين هناك، الذي كان يتولى خالد بن سعيد بن العاص أمرهم، فأمدهم الخليفة أبو بكر الصديق (τ) بالمهاجر بن أبي أميه، الذي كان يقود جمعاً آخر. في حين كان يقود بجيلة جرير بن عبد الله البجلي. فالتقت الخيول على أصحاب الأسود العنسي، ودارت عليها الدائرة، من نجران إلى أقصى اليمن. فأخمدت هذه الفتنة إلى الأبد، وعادت بلاد اليمن ثانية إلى أحضان الدولة العربية الإسلامية[60].

إسهاماته في جبهة العراق:

ما إن فرغ جرير وجيشه من إعادة الأمور إلى نصابها في نجران واليمن، وإنهاء ارتداد الأسود العنسي وجماعته، حتى توجه بجيشه نحو الجبهة الشمالية، جبهة بلاد الشام. بمعية القائد خالد بن سعيد بن العاص[61]، ولكن بعد فترة من الزمن، استأذن جرير من القائد خالد بن سعيد في المسير إلى الخليفة أبي بكر الصديق (τ) ليكلمه في قومه، ليجمعهم تحن قيادته، حيث كانوا متفرقين في مناطق وجبهات متباعدة، ولمكانة جرير البجلي، أذن له خالد بن سعيد بالتوجه نحو المدينة المنورة. فقدم إلى الخليفة أبي بكر الصديق (τ) وذكر له أن الرسول (ρ) كان قد وعده بأن يجمع له قبيلة بجيلة، ويجعلها تحت قيادته[62].

سيرة الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي، ظفر عبد الرزاق ذنون

([59]) الكامل، ابن الأثير: 255/2.

([60]) تاريخ الرسل والملوك، الطبري: 427/3؛ الكامل، ابن الأثير: 256/2، 289.

([61]) تاريخ الرسل، الطبري: 365/3.

([62]) الكامل، ابن الأثير: 268/2.

غير أن الظروف الحرجة التي كانت تمر بها الدولة بعد وفاة الرسول (ρ) في معالجة وتصفية بقايا جيوب المرتدين، أو حرج الموقف العسكري في جبهتي الشام والعراق، جعلت الخليفة أبا بكر الصديق (τ) يمتنع عن تلبية مطلب القائد جرير البجلي، فقال له: (ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بازائهم [من الأسدين] فارس والروم)[63]. وأمره بالمسير إلى العراق لتعزيز موقف القائد خالد بن الوليد هناك. فامتثل جرير لأمر الخليفة الراشد الأول، واتجه نحو العراق، حيث التقى مع خالد بن الوليد في الحيرة بعد تحريرها[64].

ويذكر البلاذري[65] أنه لما كان خالد بن الوليد بناحية اليمامة يقاتل المرتدين كتب إلى الخليفة أبي بكر الصديق (τ)ي يستمده بمدد جديد، ليعزز موقفه تجاه المرتدين، فأمده الخليفة أن يكون لتلك المهمة جرير بن عبد الله البجلي، الذي اتجه نحو العراق فتقدم بإمكانات عالية نحو عدوه فلقي جرير خالداً منصرفاً من اليمامة ومتجهاً لتحرير العراق فأسهم معه جرير في منازلة الفرس عند المذار.

في الوقت ذاته سُمِعت أنباء عن تحرك جيوش الروم البيزنطيين وتجمعها في بلاد الشام لصد تقدم العرب المسلمين وأن فلول الفرس المنهزمين تجمعت في (دومة الجندل)[66] قبالة جيش العرب المسلمين الذي كان يقوده عياض بن غنم، الأمر الذي أدى إلى أن يتحرك الجيش العربي الإسلامي الموجود في الحيرة، فخرج هذا الجيش في تعبئة كاملة حتى انتهى إلى الأنبار بقيادة خالد بن الوليد وبمعيته جرير البجلي[67].

ويبدو أن جرير بن عبد الله البجلي ظل ملازماً خالد بن الوليد خلال تحريره لبعض مدن العراق حتى انتهى بهما المطاف إلى الأنبار التي تحصنت داخل أسوارها جيوش الفرس. إلا أن قيادة الجيش العربي الإسلامي وضعت خطة عسكرية محكمة، هدفها شل مقاومة العدو، وبمبادرة سريعة تم نحر بعض الإبل الهزيلة، ثم اقتحم الجند الحصن، جاعلين جثث الإبل جسورهم. وعندئذ دار بين الطرفين قتال شديد، انتهى بانكفاء الفرس ورضوخهم لشروط قيادة جيش المسلمين[68].

([63]) تاريخ الرسل، الطبري: 365/3.

([64]) الكامل، ابن الأثير: 268/2.

([65]) فتوح البلدان، البلاذري: 251.

([66]) معجم البلدان، ياقوت: 487/2-488.

([67]) فتوح البلدان: 255.

([68])تاريخ الرسل، الطبري: 374/3-375؛ الكامل، ابن الأثير: 269/2، البداية، ابن كثير: 349/6.

وذكر البلاذري[69] أن جرير البجلي تولى بعدئذ تحرير بوزيج الأنبار، وبها قوم من مواليه وإبان إقامة خالد بن الوليد في عين التمر بعث جريراً إلى أهل بانقيا[70] فصالحهم على ألف درهم وطيلسان[71].

ويشير ابن الأثير[72] أن العرب المسلمين الذين كانوا قبالة جيش الروم البيزنطيين استمدوا الخليفة أبا بكر الصديق (τ) فكتب إلى القائد خالد بن الوليد الذي كان حينئذ في العراق يأمره بالمسير إلى بلاد الشام لنجدة الجيش العربي هناك، على ان يأخذ نصف جنده، ويستخلف على النصف الأخر المثنى بن حارثة الشيباني[73] ولا يأخذ من فيه نجده إلا ويترك عند المثنى مثله، على أن يُرجع أهل العراق بعد إتمام تحرير بلاد الشام. غير أن خالد بن الوليد أراد أن يستأثر بأصحاب رسول الله (ρ) على المثنى (وترك للمثنى عدادهم من أهل القناعة من ليس له صحبه)[74] إلا أن المثنى أصر على ان يكون له نصف الصحابة ليستفتح بهم. وأمام هذا الإصرار انصاع خالد بن الوليد لطلب المثنى[75].

والراجح أن جرير صحب القائد خالد بن الوليد إلى الشام. وقد عدَّ ابن الأثير جريراً من ضمن صحابة رسول الله (ρ) الذي كان القائد خالد يطمع في اصطحابهم معه. وإذا صح ذلك فإن جريراً يكون قد أسهم اسهاماً مؤثراً في معركة اليرموك التي استطاعت بها الجيوش العربية الحاق هزيمة منكرة بجيوش الروم البيزنطيين. وبذلك يكون لجرير دور في معارك الجبهة الشمالية، فضلاً عن اسهاماته التي مرت في الجبهة الجنوبية، والجنوبية الشرقية.

جهده في بداية خلافة عمر بن الخطاب (τ):

1- لم شمل قبيلة بجيلة:

([69]) فتوح البلدان: 355.

([70]) يانقيا: من المدن العراقية (ياقوت، معجم البلدان).

([71]) فتوح البلدان، البلاذري: 253.

([72]) الكامل: 279/2.

([73]) فتوح البلدان، البلاذري: 355؛ تاريخ الطبري، الطبري: 376/3؛ الفتوح، ابن اكثم الكوفي: 133/1-134.

([74]) تاريخ الطبري، الطبري: 411/3؛ الكامل، ابن الاثير: 279/2.

([75]) الكامل، ابن الاثير: 279/2.

في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (τ) برزت فرص مواتيه لجرير لِ ّلَمِّ شمل قبيلته، وليظهر قابليته العسكرية الفذة من خلال قيادتها، وليساهم في تحرير ما تبقى من ارض العراق، وطرد الفرس المجوس منها. وقد واتته الفرصة في أعقاب إخفاق جيش المسلمين في معركة الجسر، وقتل عدد من القادة البارزين في هذه المعركة[76]، فعظم ذلك على الخليفة عمر بن الخطاب (τ) وبادر لندب الناس لتعزيز من بقي من جيش المسلمين هناك بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني، وكان فيمن ندب الخليفة، قبيلة بجيلة، وأمرهم حينئذ إلى جرير بن عبد الله البجلي، لأنه كان قد تمكن من جمعهم ولم شتات شملهم من القبائل إذ كانوا متفرقين فيها[77].

وكان جرير قد أدرك أهمية لم شمل قبيلته، فسأل الرسول (ρ) أن يجمعهم تحت امرته فوعده بذلك، إلا أن المنية وافت الرسول الكريم (ρ) ولم يستطع جرير أن يحقق هدفه، فلما تقلد أبو بكر الصديق (τ) الخلافة تقاضاه جرير بما وعده النبي (ρ) غير أن الظروف الحرجة التي كانت تمر بها الدولة العربية الإسلامية وبخاصة الآثار التي أحدثها المرتدون، حالت دون تنفيذ مطلب جرير. فلما ولي عمر بن الخطاب (τ) الخلافة جدد جرير طلبه، فدعاه الخليفة بالبينة، أقامها جرير للخليفة عمر (τ) فكتب إلى عماله (انه من ينسب إلى قبيلة بجيلة قبل الإسلام، وثبت عليه في الإسلام، فأخرجوه إلى جرير بن عبد الله البجلي) فنفذ عمال الأقاليم أمر الخليفة، وإزاء ذلك أخذت بجيلة تتقاطر إلى حاضرة الخلافة الراشدة[78].

2- اسهامه في معركة البويب:

يبدو ان الخليفة عمر بن الخطاب (τ) أدرك بوضوح قوة قبيلة بجيلة وشدة بأسها. ولا سيما بعد ان تكامل تجمعها، فآثر إرسالها إلى جبهة العراق[79]. ولما تلمس رغبة بجيلة وقائدها جرير بالتوجه نحو بلاد الشام، ولأهمية انجاز تحرير العراق من الناحية العسكرية والاقتصادية، وثأراً لأبي عبيد بن مسعود الثقفي ورفاقه الذين استشهدوا في معركة الجسر، قرر الخليفة عمر الخطاب (τ) أن ينقل قبيلة بجيلة ربع الخمس الذي سيحرزه جيش المسلمين في حالة تغلبه على جيش فارس، وإلحاق الهزيمة بهم[80].

سيرة الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي، ظفر عبد الرزاق ذنون

([76]) الطبري، تاريخ الرسل: 454/3؛ مروج الذهب، المسعودي: 308/2.
([77]) فتوح البلدان، البلاذري: 262؛ الكامل، ابن الأثير: 303/2؛ أسد الغابة، ابن الأثير: 333/1.
([78]) الكامل، ابن الأثير: 303/3، أسد الغابة: 333/1.
([79]) تاريخ خليفة، ابن خياط: 93/1.
([80]) الكامل، ابن الأثير: 303/2.

3- اسهاماته في معركة القادسية:

شاركت قبيلة بجيلة في معركة القادسية وذكرت الروايات أنهم كانوا في حوالي ألفين وخمسمائة مقاتل[81]، أما أبا يوسف يقول (كانت بجيلة يوم القادسية ربع الناس)[82] ويقصد أبا يوسف بذلك مجمل تعداد الجيش العربي الإسلامي الذي كان بالعراق قبل مجيء القائد سعد بن أبي وقاص –والذي كان تعداده ثمانية آلاف مقاتل- وبذلك يكون عدد أفراد قبيلة بجيلة في حدود ألفي مقاتل، في حين تجاوز عدد الجيش العربي حسب روايات الطبري[83] حوالي الثمانية والثلاثين ألفاً وقد كانت قبيلة بجيلة تمتلك مزايا قتالية عالية، ولعل ما أشار إليه (ابن الأثير)[84] من تمتع جرير بالجرأة والصرامة حيث أنكر على القائد سعد بن أبي وقاص –مع من أنكر عليه- لأنه تنحى جانباً عن المعركة. واتكأ ليرقب ساحة المعركة من بعيد، ولأنه لم يستطع أن يجالد المرض الذي ألم به، ويبدو أن ملاحظات جرير، قد طرقت مسامع قائد القادسية فنزل سعد بن أبي وقاص إلى الجند (واعتذر إليهم، وأراهم ما به من القروح في فخذيه فعذره الناس)[85].

كان أفراد الجيش العربي الإسلامي يكاشفون قائدهم. وبالروح نفسها كان القائد يتقبل ملاحظات جنده، غير مبتئس منهم، وكان يحثهم على الجهاد، ويذكرهم ما وعدهم به الله تعالى من تحرير البلاد، وما نال من كان قبلهم من المسلمين من الفرس في معركة الجسر، وليزيد في تعبئتهم[86].

وضمن الخطة العسكرية التي وضعها القائد سعد بن أبي وقاص قسَّم جيشه إلى ميمنة وقلب وميسرة. وتذكر الروايات التاريخية المعتمدة أن جرير وقبيلته كانوا في الميمنة. وأستقى جيش سعد في منطقة تؤمن له طرق مواصلاته وإمداداته. ويتضح لنا أهمية قبيلة بجيلة وقائدها من خلال المهام القتالية الموكلة إليها. وفي رواية تذكر (أن جيوش الفرس كانت قد استهدفت قبيلة بجيلة بسبعة عشر فيلاً، فنفرت خيل بجيلة، وأضحى مقاتلوها في موقف صعب ومحرج[87]. وإزاء ذلك انبرى بنو أسد يباشرون الفيلة ويذبون ركبانها بسهامهم ونبالهم، وأخذوا بأذناب

([81]) تاريخ الرسل، الطبري: 460/3.
([82]) الخراج ، أبو يوسف: 29.
([83]) تاريخ الرسل، الطبري: 461/3.
([84]) الكامل: 325/2.
([85]) الكامل، ابن الأثير: 325/2.
([86]) الكامل، ابن الأثير: 325/2.
([87]) الكامل، ابن الأثير: 326/2.

توابيت الفيلة وقطعوها (أي قطّعوا أحزمة سروجها)، فهاجت الفيلة، وألقت من عليها من الفرس[88].

وهكذا انتهى اليوم الأول (يوم أرماث))[89].

وفي ليلة الهرير، برز دور قبيلة بجيلة وقائدها جرير فقال سعد بن أبي وقاص مباركاً إسهامهم هذا (اللهم اغفر لهم وانصرهم)[90]. وكان صليل السيوف كصوت القيون (أي صوت الحدادين) حتى إذا إنبلج الصبح تبين أن المسلمون هم الأعلون وأن كفتهم هي الراجحة فسمى الناس ليلة الهرير (ليلة القادسية)[91] وأبان اشتداد المعركة انقض (هلال بن عفلة) على رستم قائد الفرس وقتله[92].

وهذا ما أدى إلى ضعف الحالة النفسية للجيش الفارسي ولاذ أفراده بالفرار، وفقد الفرس في هذه المعركة ثلاثين ألف جندي، في حين بلغ قتلى الفرس في ليلة الهرير عشرة آلاف[93]. وأثنى الناس على أهل القادسية ومنهم جرير، فقال الخليفة عمر بن الخطاب (τ) (أولئك أعيان العرب)[94].

وقد أسهم القائد جرير إسهاماً فاعلاً في تحرير منطقة كوثى[95]، ومن ثم تقدم الجيش العربي الإسلامي نحو المدائن، حيث استطاع أن يحررها في صفر سنة 16 هـ/637 م[96] وقد كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب (τ) بخبر الانتصارات العظيمة التي أحرزتها الجيوش العربية الإسلامية، وأنها استطاعت تحرير حُلوان، والتمسوا من الخليفة الاستمرار بملاحقة جيش الفرس، وتتبع فلوله المهزومة، فأبى الخليفة وقال (لوددت أن بين السواد وبين الجبل سداً لا يخلصون إلينا، ولا نخلص إليهم. وحسبنا من الريق السواد وإني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال)[97]. ويذكر قدامة بن جعفر أن جرير أقام بُحلوان وألياً عليها، ثم فتح (قرماسين) قبل أن تعهد إليه مهمة عسكرية أخرى، فخلف على حَلوان (عزره بن قيس البجلي) ومعه ألف مقاتل[98].

سيرة الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي، ظفر عبد الرزاق ذنون

(88) تاريخ، الرسل الطبري: 538/3، 549.
(89) الكامل، ابن الأثير: 331/2.
(90) الكامل ابن الأثير: 334/2.
(91) الكامل، ابن الأثير: 334/2.
(92) فتوح البلدان، البلاذري: 268-269.
(93) الكامل، ابن الأثير: 336/2.
(94) الكامل، ابن الأثير: 361/2.
(95) تاريخ، الطبري: 11/4-12.
(96) تاريخ، الطبري: 23/4.
(97) الكامل، ابن الأثير: 363/2.
(98) فتوح البلدان، البلاذري: 309.

انتقال جرير إلى الجهة الجنوبية الشرقية:

نظراً للمكانة القيادية المتميزة التي يتحلى بها جرير البجلي فقد اقتضت ظروف القتال أن ينتقل بجنده إلى الجبهة الجنوبية الشرقية ليسهم في إعادة تحرير (رامهُرمْز)[99]، وأعادتها ثانية إلى أحضان الخلافة بعد أن حصل فيها تمرد سرعان ما أخمد[100].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب (τ) قد بعث جريراً مدداً لأبي موسى الأشعري وهو محاصر لأهل تُستر[101]. ففي رواية الوليد بن هشام عن أبيه أنه بناء على طلب الخليفة، كتب والي الكوفة عمار بن ياسر إلى جرير وهو بُحلوان (أن سر إلى أبي موسى الأشعري) الذي كان محاصراً لمدينة تُستر سنة 18 هـ/639 م فسار جرير في ألفاً من المقاتلين الأشداء، وأسهم في مسانده أبي موسى الأشعري وطرد جند الفرس في مدينة تُستر وإلحاقها بحضيرة الدولة العربية الإسلامية[102]. حيث كان يقود ميمنة جيش المسلمين في هذه المعركة، فأوعز لجنده ان يقرئوا قوله تعالى ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[103].

(99) رامهرمز: مدينة مشهور بنواحي الأحواز. معجم البلدان، الحموي: 738/2.

(100) فتوح البلدان، البلاذري،: 372.

(101) تستر، من مدن الأحواز؛ معجم البلدان، ياقوت: 848/1.

(102) تاريخ خليفه بن خياط: 116/1-117؛ الفتوح، ابن أعثم الكوفي: 10/2.

(103) سورة الأحزاب: الآية 23.

موقف عبد الله بن جرير البجلي في الفتنة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما)

سكن الصحابي الجليل جرير البجلي الكوفة، ولما أطلت الفتنة بسبب مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان (τ) بويع لعلي بن أبي طالب (τ) أميراً للمؤمنين وخليفة للمسلمين كتب إلى جرير يدعوه إلى الدخول في بيعته وطاعته كما دخل غيره من المهاجرين والأنصار وما أن قرأ جرير كتاب أمير المؤمنين حتى قام وخطب الناس في ولايته –همذان– وحثهم على البيعة لأمير المؤمنين بالخلافة فاستجاب له الناس فكتب إلى الخليفة بالطاعة والبيعة ثم أقبل سائراً من ثغر همذان حتى أتى علي بن أبي طالب بالكوفة فبايعه ودخل فيما دخل فيه الناس من الطاعة وكان جرير قد أرسل إلى الأشعث بن قيس –عامل عثمان على أذربيجان– يدعوه إلى الطاعة فقبل الأشعث النصيحة وأعلن البيعة والسمع والطاعة[104].

ولما انتهى علي بن أبي طالب (τ) من حرب الجمل التي دارت بينه وبين عائشة وطلحة والزبير وقدم من البصرة ونزل الكوفة أراد أن يبعث إلى معاوية من يستحثه على بيعته والدخول في طاعته، فعرض جرير نفسه ليكون رسول أمير المؤمنين إلى معاوية، وأرسله إلى دمشق ليدعو معاوية إلى البيعة وذلك لما كان له –أي جرير– من مكانة عند رسول الله (ρ)[105].

فانطلق جرير حتى أتى الشام ونزل بمعاوية فدخل عليه ودفع إليه كتاب أمير المؤمنين، فقراه معاوية، ولما فرغ من قرائته قال لجرير: انظر وتنظر واستطلع رأي أهل الشام فمضت أيام ثم أمر معاوية منادياً فنادى باجتماع الناس في المسجد وصعد المنبر وخطب في الناس واستحثهم فيها على المطالبة بدم عثمان بن عفان (τ)، فقام أهل الشام وأجابوا إلى الطلب وبايعوا معاوية على ذلك وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم حتى يدركوا بثأره أو تلعق أرواحهم بالله، واستحث جرير معاوية بالبيعة فقال معاوية: يا جرير إنها ليست بِخِلْسَة وإنه أمر له ما بعده، ثم دعا ثقاته واستشارهم وكان منهم شُرحبيل بن السمط[106] الذي التقى بجرير ودار بينهما حديث في شأن

([104]) البدء والتاريخ، البلخمي: 217/5؛ تاريخ الإسلام السياسي والديني، حسن إبراهيم حسن: 368/1.

([105]) تاريخ، ابن خلدون: 1096/2.

([106]) شرحبيل بن السمط، الكندي الشامي، جزم ابن سعد بأن له وفاده ثم شهد القادسية وفتح حمص وعمل عليها لمعاوية ومات سنة أربعين للهجرة، تقريب التهذيب، العسقلاني: 348/1.

علي وقتلة عثمان واتهام شرحبيل علياً بقتل عثمان فرد عليه جرير مبرئاً ساحة علي –كرم الله وجهه– مما نسب إليه زوراً فقال:

شرحبيل يا ابن السمط لا تتبع الهوى فمالك في الدنيا من الدين من بَدَلِ
وما مِن علي في ابن عفان سقْطَةُ بأمرٍ ولا جَلْب عَلَيه ولا قَتل
وما كان إلا لزاماً قُعْر بَينهِ إلى أن أتى عثمان في بيته الأجلَ
فمن قال قولاً غير هذا فحسبُه من الزور والبهتان قول الذي احتمل[107]

ثم إن علياً (τ) استبطا جريراً اذهبَهُ معاوية مدة طويلة يستطلع فيها رأي أهل الشام، فكتب إليه أن يحزم الأكر ويفصله مع معاوية إن أراد حرباً أو سلماً، فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فاقرأه إياه فقال له معاوية: يا جرير الحق بصاحبك، وردِّه بِرَقٍ وبَعث معه من غيره بمنابذته له[108].

ولما رجع جرير إلى أمير المؤمنين كَثر قول الناس بأن مَكُث جرير طال عند معاوية ليتخذ عنده يداً –كما قال ذلك الاشتر–[109] قلما سمع جرير بذلك لحق بقرقيسيا مع عدي بن حاتم وحنظلة وسكنوها كما لحق به ناس من قومه وقالوا: لا نقِم ببلد يشتم فيه عثمان (τ)[110] ولم يشهد جرير ومن معه موقعة صفين، وأقام جرير بقرقيسيا[111] إلى أن توفاه الله تعالى ودفِن فيها[112].

بذلك يكون جرير (τ) قد سلَك ما سلكه بعض الأخيار من أصحاب الرسول (ρ) من اعتزال الفريقين المتحاربين فأضاف بذلك فضيلة إلى فضائله المتعددة ومزاياه الفريدة.

([107]) شرح نهج البلاغة، الشريف الرضي: 309/1؛ شعراء الدعوة الإسلامية: 490.

([108]) الاستيعاب، ابن عبد البر: 239/1.

([109]) الاشتر هو مالك بن الحار نزل الكوفة بعد أن شهد اليرموك وغيرها، وولاه علي بن أبي طالب مصر، فمات قبل أن يدخلها سنة 37 هـ؛ تقريب التهذيب: 244/2.

([110]) سير أعلام النبلاء، الذهبي: 111/3.

([111]) قرقيسيا: هي بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك ابن طوق فهي في مثلث بين الخابور والفرات، معجم البلدان: 328/4.

([112]) تاريخ الطبري: 561/4؛ وقعة صفين، المنقري: 15-60.

مشاركة جرير في معركة فتح الفتوح:

ساهم جرير في معركة فتح الفتوح (نهاوند)، بعد هروب يزدجرد من حُلوان سنة 19 هـ تجمع الفرس في السنة التالية بمنطقة نهاوند وكانت عدتهم ستين ألفاً، وفي رواية أخرى مائة ألف[113].

لقد استقر رأي الخلافة على إرسال جيش كثيف بقيادة النعمان بن عمرو بن مقرن المزني، فإن أصيب فالأمير حذيفة بن اليمان، فإن أصيب فالقيادة إلى جرير ثم إلى المغيرة بن شعبة ثم الأشعث بن قيس[114].

وعلى الرغم من أن جريراً لم يتول القيادة العامة للجيش العربي الإسلامي في معركة فتح الفتوح إلا أنه أبلى بلاءً حسناً فيها، الأمر الذي آل إلى إلحاق الهزيمة بجيش فارس، وقد حدثت هذه المعركة سنة 21 هـ/641 م على الأرجح[115].

وأسهم جرير في فتح همذان إذ ذكر (خليفه بن خياط) أن والي الكوفة المغيرة بن شعبة بعث جريراً على رأس جيش كبير ففتح همذان سنة 24 هـ/644 م، في خلافة عثمان بن عفان (τ)[116]. ويضيف البلاذري: (أن جريراً كان يقاتل أهل همذان بروح عالية فأصيبت عينه بسهم. فقال: احتسبتها عند الله الذي زين بها وجهي ونور لي ما شاء، ثم سلبها في سبيله)[117]، وذكر قدامة أن والي الكوفة المغيرة بن شعبة ولى جرير بن عبد الله البجلي همذان[118] وإبان ولاية سعيد بن العاص الثانية للكوفة وجه جريراً إلى اذربيجان، فاستطاع أن يفتح هذه المنطقة ويلحقها بالدولة العربية الإسلامية[119].

([113]) فتوح البلدان، البلاذري: 310.
([114]) فتوح البلدان، البلاذري: 311.
([115]) فتوح البلدان، البلاذري: 312-313.
([116]) تاريخ خليفه: 124/1، 131.
([117]) فتوح البلدان: 317.
([118]) فتوح البلدان، البلاذري: 329.
([119]) فتوح البلدان، البلاذري: 336.

حرصه على وحدة الأمة:

يبدو لنا إخلاص جرير، وحرصه على وحدة العرب المسلمين أنه لم يخض في غمار الصراع الذي نشب إبان تقلد الإمام علي بن أبي طالب (τ) الخلافة. فعلى الرغم أن قبيلة بجيلة التزمت جانب الخليفة، إلا أن جريراً حاول أن يضيق شقه الخلاف بين المتنازعين منطلقاً من حرصه على وحدة المسلمين.

لقد وجد جرير أن الفرصة باتت مواتية لأن يعمل على إصلاح ذات البين عندما استقدمه الإمام علي بن أبي طالب (τ) إلى الكوفة سنة 36 هـ/656 م، مع من استقدم من ذوي الرأي والمشورة. وكان جرير قبل ذلك عاملاً على همذان حيث استعمله الخليفة عثمان بن عفان (τ). ولما استقر رأي الخليفة أن يرسل رسولاً إلى والي الشام معاوية بن أبي سفيان، انبرى جرير وقال: (أرسلني إليه فإنه لي ود)[120]. وقد استجاب الإمام علي (τ) لهذا العرض وأرسل جريراً في سفاره إلى والي الشام.

ومع أن جهود جرير البجيلي لم تأتِ بشكل مرضٍ كما كان يرجو لها[121]. ولكنه أدرك خطورة حصول أي تصدع في الدولة العربية الإسلامية، لذلك عمل على وحدة الأمة، وزيادة قوتها[122]. وعندها خرج من الكوفة وقصد قرقيسيا. معتزلاً طرفي النزاع[123].

وعندما توفي والي الكوفة المغيرة بن شعبة سنة 50 هـ/670 م في مدينة الكوفة استخلف مكانه جرير البجيلي[124]. غير أن معاوية بن أبي سفيان ما لبث أن عهد بإدارة ولاية الكوفة إلى زياد بن أبيه وجمع له معها البصرة[125]. فكان اول من جُمع لها الكوفة والبصرة[126].

ومما سبق تتضح المكانة الاجتماعية والمقدرة الإدارية التي كان يتبوأها جرير في مجتمع الكوفة حينذاك. ونتبين أيضاً موقفه السياسي المستند إلى وحدة الجماعة وعدم الإنحياز إلى طرف من دون آخر، فهو يدرك أن مهمة القائد المسلم أن يعمق الوحدة والتماسك بين المسلمين ويرص صفوفهم ويتصدى لكل ما من شأنه أن يقود

سيرة الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي، ظفر عبد الرزاق ذنون

(120) الكامل، ابن الأثير: 141/3.
(121) الاستيعاب، ابن عبد البر: 235/1.
(122) تاريخ خليفه، ابن خياط: 177/1.
(123) الكامل، ابن الأثير: 142/3.
(124) الإصابة، ابن حجر: 232/1.
(125) تاريخ خليفه، ابن خياط: 195/1.
(126) تاريخ الرسل، الطبري: 234/5.

إلى التجزئة والتشرذم والتشظي، ومن هنا نراه يؤثر الاعتزال والابتعاد عن الفتن وهدر دماء المسلمين. سيما بعد أن لم يوفق في سعيه للصلح وإعادة الوئام بين علي بن أبي طالب (τ) ومعاوية بن أبي سفيان، ذلك أن جريراً كان مؤمناً ومتفهماً بأن الجهد الحقيقي يجب أن يوجه جهادياً ضد أعداء الأمة ،و ليس بين المسلمين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة على من أكمل به رسالاته وأتم به دينه سيدنا مُحَمَّد (ρ) ومن والاه إلى يوم الدين وبعد.

من خلال دراستي للصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجيلي يبدو لنا أن جريراً كان مثالاً للداعية المخلص وله دور كبير في الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته ونشر رايته، فقد أرسله الرسول (ρ) لهدم ذي الخلصه –وكان بيتاً لخثعم وبجيلة– وبعثه إلى اليمن ليدعو قومه وأهله إلى الإسلام إذ كان سيداً فيهم، كما أرسله أبو بكر الصديق (τ) لمحاربة المرتدين في اليمن إضافة إلى مواقفه العظيمة في الفتوحات الإسلامية لبلاد العراق وما وراء النهر وكان له أثر ظاهر فيها كما كان لهذا الصحابي موقف رائع في أيام الفتنة التي حدثت بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (τ) ومعاوية بن أبي سفيان (τ) فقد أرسله الخليفة إلى معاوية يدعوه إلى مبايعته والدخول في طاعته –كما دخل غيره من الصحابة–، ولكن لما احتدم النزاع واشتد أمر الفتنة وتبلور الاقتتال بين الفريقين اعتزل جرير الطرفين وذهب إلى قرقيسيا وعاش فيها إلى أن توفاه الأجل إيماناً منه بحقن دماء المسلمين وادخارها لمقاتلة أعداء الله تعالى. وقد نال جرير مكانة مرموقة عند رسول الله (ρ) رغم تأخر إسلامه إلى عام الوفود –ولم يحجبه عنه في أي وقت من الأوقات كلما أراد الدخول عليه– كما كانت له تلك المكانة بين الصحابة الكرام لأنه كان سديد الرأي متواضعاً وكان حسن الهيئة جميل الطلعة.

فضلاً عن كونه سيداً مطاعاً في قومه عاش وترعرع بين أهله فكانت له درايته الواسعة ببلاده. وبالرغم من تأخر إسلام جرير (τ) إلا أنه استطاع أن يأخذ عن الرسول (ρ) عدداً لا بأس به من الأحاديث مما يدل على أنه كان يكثر من الدخول على النبي (ρ) والسماع منه وملازمته. من خلال ما أوردناه تبين لنا أن الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي كانت شخصيته آسرة جذابة تمتلك ميزات خاصة ونادرة، هي بعض سمات الصحابة الأوائل فهو ابتداءً قائد كبير في قومه، مهيب الجانب مرتفع الشأن، وهو مسلم رصين نقي في إيمانه فضلاً عن

رجاحة عقله وقدرته على التصرف بحكمة وإلى هذا كان مقاتلاً باسلاً شجاعاً، له بلاؤه في المعارك الحاسمة في تاريخ الأمة، ولنا أن نشير إلى أن قائداً من هذا الطراز كان يفهم أن سر الأمة يكمن في وحدة الكلمة والموقف ومغادرة الفرقة والإنقسام، لذا وجدناه حريصاً تفانياً في إسهامه وعمله من أجل إعلاء الراية الإسلامية الموحدة الجامعة، ووجدناه يسعى جاهداً لترصين الجبهة الداخلية وإدامة قوتها ضد أي إتجاه يقود إلى إضعافها، ولقد تطلب ذلك منه أن يكون محايداً في مواقفه من الصراعات السياسية الأمر الذي يؤكد نبل روحه وحسه العميق بالمسؤلية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن أبي بكر العسقلاني (923 هـ)، ط1، القاهرة، 1989.

2- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله مُحَمَّد بن عبد البر النميري (ت 463 هـ)، تحقيق: مُحَمَّد علي البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992.

3- أسد الغابة في معرفة الصحابة، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري ابن الأثير، (ت 630 هـ)، تحقيق: محمود شاكر، دار احياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2006م.

4- الاشتقاق، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دريد (321 هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1958م.

5- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن حجر العسقلاني (852 هـ)، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1999.

6- الأصنام، أبي المنذر هشام بن مُحَمَّد الكلبي (ت 204 هـ)، تحقيق: أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، ط2، القاهرة، د.ت.

7- الأغاني، أبو الفرج علي بن حسين الأصفهاني (ت 356)، دار الفكر، د.ط، بيروت، 1955.

8- الأنساب، أبي سعد عبد الكريم بن مُحَمَّد بن منصور السمعاني (ت 562 هـ)، مطبعة دار المصارف العثمانية، ط1، هيداباد، الدكن، الهند، 1966م.

9- الإنباه في قبائل الرواة بذيل القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، أبي عمر يوسف بن عبد البر النميري القرطبي (436 هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، 1350 هـ.

10- البدء والتاريخ، أبي زيد أحمد بن سهل البلخمي (507 هـ)، ط1، باريس، 1916م.

11- البداية والنهاية في التاريخ، أبي الفداء بن كثير (774 هـ)، مكتبة المعارف، ط2، بيروت، 1977.

12- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط7، 1964.

13- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463 هـ)، د.ط، القاهرة، 1931.

14- تاريخ خليفه، خليفه بن خياط (240 هـ)، ط1، النجف، دار الكتب، 1967.

15- تاريخ الرسل والملوك، مُحَمَّد بن جرير الطبري (310 هـ)، د.ط، القاهرة، 1966.

16- تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، مُحَمَّد بن عبد الرحمن المباركفوري (ت 1353 هـ)، تصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، ط3، 1979 م.

17- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852 هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط2، نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1987.

18- تلقيح مفهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597 هـ)، مطبعة مكتبة الآداب، القاهرة، 1975.

19- تهذيب الأسماء واللغات، أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (676 هـ)، نشر وتصحيح إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

20- تهذيب اللغة، أبي منصور مُحَمَّد بن أحمد الأزهري (370 هـ)، تحقيق علي حسن هلالي، د. ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1989.

21- الجامع الصحيح، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (261 هـ)، مؤسسة الطباعة لدار التحرير، 1329 هـ.

22- جمهرة الأمثال، أبي هلال العسكري (395 هـ)، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، المؤسسة العربية الحديثة، ط1، 1964.

23- جمهرة أنساب العرب، أبو مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456 هـ)، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2003.

24- جمهرة اللغة، ابن دريد أبي بكر مُحَمَّد الازدي (321 هـ)، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، ط1، 1345 هـ.

25- الخراج، يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف، (182 هـ)، دار المعرفة، بيروت، 1979.

26- رسالة الغفران، أبي العلاء المعري (449 هـ)، تحقيق: عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، ط5، مصر، 1969م.

27- الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة، يحي بن أبي بكر العامري اليمن (ت 893 هـ)، ضبط وتصحيح: عمر الديراوي، ط1، 1974.

28- سير أعلام النبلاء، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (748 هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية، دار المعارف، مصر، 1984.

29- شرح ديوان الأخطل التغلبي، شرح وفهرسة إيليا سليم الحاوي، نشر دار الثقافة، بيروت.

30- شرح نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي وآخرون، تحقيق: السيد نور الدين شرف الدين وآخرون، دار الفكر، ط3، بيروت.

31- شعراء الدولة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، جمع وتحقيق وشرح: عبد الله بن حامد الحامد، مطبوعات الرئاسة العامة، الرياض، 1971م.

32- صبح الأعشى في صناعة الانشا، أبي العباس أحمد بن علي القلشقندي (ت 821 هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر.

33- صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت 261 هـ)، تحقيق وترتيب: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، 1955.

34- الطبقات الكبرى، مُحَمَّد بن سعد (ت 230 هـ)، دار صادر-دار بيروت، 1960م.

35- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، والمشهور بتاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت 808 هـ)، دار الكتب اللبنانية للطباعة والنشر، 1956.

36- الفائق في غريب الحديث، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (538 هـ)، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل وآخرون، ط2، بيروت، 1988.

37- الفتوح، أبو مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد بن أعثم الكوفي (314 هـ)، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1968.

38- فتوح البلدان، أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، (279 هـ)، ط1، القاهرة، دار الفكر، 1991.

39- قادة فتح العراق والجزيرة، محمود شيت خطاب، ط2، دار الفكر، 1973.

40- الكامل في التاريخ، علي بن أبي مُحَمَّد بن الأثير الجزري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.

41- لسان العرب، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم الأنصاري ابن منظور (711 هـ)، مطبعة بولاق، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.

42- المحبر، أبي جعفر مُحَمَّد بن حبيب بن أميه البغدادي، ت (245 هـ)، دار الكتب التجارية، بيروت، 1977.

43- مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي (346 هـ)، حيدراباد، الرحمن، 1914م.

44- المستدرك على الصحيحين، أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (405 هـ)، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، د.ت.

45- المسند، أبي عبد الله مُحَمَّد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ)، المطبوعات العلمية، ط1، مصر، 1909م.

46- المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم، أبي عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد الذهبي (ت 748 هـ)، تحقيق: مُحَمَّد علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1962.

47- معجم البلدان، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموت (ت 626 هـ)، دار صادر، بيروت، 1977م.

48- معجم الطبراني الصغير، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (ت 360 هـ)، تصحيح ومراجعة: عبد الرحمن أحمد عثمان، دار النصر للطباعة، ط2، القاهرة، 1968.

49- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحاله، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1968.

50- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان الطبراني (360 هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، دار العربية للطباعة، ط1، بغداد، 1978.

51- المنهل العذب، المورود في شرح سنن أبي داؤود، محمود بن مُحَمَّد الخطاب السبكي، مطبعة الاستقامة، ط1، 1922م.

52- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبي العباس أحمد القلشقندي (ت 821 هـ)، تحقيق: إبراهيم الابياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1959م.

53- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد ابن الأثير (ت 454 هـ)، تحقيق: محمود مُحَمَّد الطناحي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، د. ت.

54- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (212 هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة، ط2، القاهرة، 1983.